## كلمة الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

### رئيس مجمع اللغة العربية

**أيها السيدات والسادة**

يطيب دومًا لمجمعنا أن يرحب بزائريه، إلا أنه من دواعي الحزن أن يتّشح اليومَ حضورُكم إلى مجمعنا بما يخيّم عليه من ألوان الأسى، لفقدان زميل عزيز كانت له مساهمات متميزة في مسعانا إلى تحقيق أهدافنا في خدمة اللغة العربية.

إن أعمال مجمعنا وإن اتّصفت بالطابع الجماعي، نظرًا لكونها صادرةً عن اللجان والندوات والمؤتمرات، إلا أننا في حقيقة الأمر لا يمكن لنا أن نتجاوز، أو نُغفل المجهوداتِ الفرديةَ التي يبذلها كل عضو في المجال الذي يختار أن يختص به، وهذا ما يتجلّى في المحاضرات والمقالات والمؤلفات، تلك الإنجازات التي تُبْرز اهتمامات المجمعي، وتوضح اتجاهاته الفكرية، وتحدد مكانته في الحيّز العلمي الذي اصطفاه.

ولقد كان للدكتور زهير البابا دورٌ نشيط في إضفاء صبغةٍ ناصعة على العمل الفردي، المتّسق مع العمل الجماعي في اللجان والندوات، فهو الذي اختار الانغماس في تحقيق النصوص التراثية المرتبطة باختصاصه، محاولًا إحياء ما فيها من نظراتٍ علمية ثاقبة، ومساراتٍ فكرية أصبحت دعائمَ لكل ما تلاها من تطورات في مجالات العلوم.

إنه عمل أصيل يساعد المجمع على تبديد تلك التصوّرات التي تجعل منه مؤسسةً يمكن اختزال أهدافها في إطار محدود، ينحصر إما في إصدار القواعد الرادعة عن استعمال بعض الألفاظ، أو النظر في قبول بعض التراكيب والأساليب، أو كذلك في إيجاد الوسائل لتسهيل تعليم النحو الضامن لسلامة اللغة، أو أخيرًا في اقتراح المصطلحات التي تقتلع الدخيلَ من الكلمات الأجنبية الشائعة على الألسن، لاقتراح البدائل لها.

إنها تصوراتٌ اختزالية إفقارية تُسقط ما جعله مجمعنا هدفًا متميزًا يرتقي باللغة إلى المستويات الحداثية، وذلك عن طريق مجاراة تطور العلوم والتقانات في عالم سريع التطور، وهو المجال الذي كانت للدكتور البابا مساهمات جادّة فيه من خلال عمله في اللجان العلمية في المجمع.

إنه هدفٌ لا يمكن بلوغه إلا بسلوك تلك المسالك الوعرة، التي تدرس العلومَ الحديثة لتستخلصَ منها ما تفيض به منتدياتها من تعابيرَ ومصطلحات، يترّتب علينا وضعُ المقابلات لها، بالاعتماد على حقائق لغتنا.

وهو عمل لابد أن يرافقه الحرصُ على شرحها بلغة بسيطة دقيقة سليمة، تساعد الطالب على استيعاب ما تحمله، مؤكدين بذلك ضرورة الإصرار على نقل العلوم إلى لغتنا العربية لعلها تعود إلى مكانتها العالمية.

**أيها السيدات والسادة**

لابد من القول بأن منطلقات العمل في مجمع اللغة العربية لا يمكن أن تُحصَر في الأمور التي ذكرتها، إذ إننا في مجالات خدمة اللغة العربية نتوخّى دومًا الإفادةَ من الفُرص التي يمثلها وجودُ أعضاء قضوا قسمًا كبيرًا من حياتهم في مجالات العلوم الإنسانية، أو العلوم التطبيقية، لنشكل اللجان القادرة على إغناء اللغة العربية بما في جعبتهم من دقائقَ نودُّ إدخالها إلى اللغة العربية بتفاصيلها ومعانيها الجديدة.

فقد انتخب الدكتور زهير البابا عام ١٩٨٨ وهو أستاذ جامعي في كلية الصيدلة، تَدرَّج في المراتب العلمية حتى العمادة، وهي المرتبة الأكثر لمعانًا ولو أنها الأقلّ انغماسًا في الشؤون العلمية. إلا أن رصيفنا قد بقي مخلصًا لمجالات الصيدلة، ونقل إلى مجمع اللغة العربية حُبّه للأقرباذين، وولَعَه بالعقاقير، وتصنيفَه للدساتير، واهتمامه بالسموم والترياق، وتاريخِ الطب، وعلمِ المياه.

فهو الذي درس الصيدلة باللغة العربية في جامعة دمشق، وأكمل علمه باللغة

الفرنسية في بروكسل، حيث حصل على الدكتوراه في علم العقاقير، وهو العلم الذي يختص بدراسة النباتات الطبية، والمواد الطبيعية التي تستخرج منها العناصر الفعالة التي تدخل في تركيب الأدوية. وهو العلم الذي أخذه العرب الفاتحون عن ديوسْكوريدِس اليوناني وأضافوا إليه التعريف بنباتات بلاد الشام.

ولقد تميز فقيدنا بإصراره على الإفادة من التراث العلمي العربي مؤكدًا أن علينا إبرازَ ما هو معروف من هذا التراث ليبقى، إذ إن ما تُضيفه دراساتنا إليه ينير الماضي، ويكشف نواحيَ مغمورةً فيه، يستفادُ منها في مسارنا نحو تعرُّف الحقيقة، أو نحو تسهيل الوصول إلى ما يمكن الوصولُ إليه منها.

لقد كانت منطلقات الدكتور البابا في هذا المسلك تؤكّد قناعتنا بأن لغتنا العربية لغةٌ حيّة، لم ينقطع اتصالها بجذورها، ولزام علينا الحثُّ على ربط ماضيها بحاضرها، وأننا ما دمنا في مواجهة حاضرٍ تتدفق فيه الكشوف العلمية، فنحن بحاجة إلى سبر أغوار تراثنا لإبراز ما فيه من فكرٍ وخَلْقٍ وإبداع، لعلنا نستفيد من خبرات أسلافنا حين واجهوا عولمةً غامرة، تمكنوا أن يدخلوها إلى اللغة العربية الصامدة على قواعدها، المفتوحةِ على كل جديد، مستفيدين من طواعيتها ودقة مقاييسها.

هذا ما دَفَعَ فقيدَنا، وهو يشارك في أعمال اللجان المجمعية المختصة بمصطلحات علم الحياة والعلوم الطبيعية الأخرى، إلى أن يلتفت إلى مجالات التحقيق: تحقيق تراث الزهراوي جرّاحًا وصَيدَنًا، وتحقيق مخطوط أقرباذين القلانسي، وأقرباذين ابن التلميذ، ومخطوط دفع المضار عن الأبدان لابن سينا. كما أنه اهتم بموضوعات تراثية عديدة، وألقى دروسًا في العلوم عند العرب في معهد التراث العلمي العربي في حلب، إلى جانب محاضراتٍ عامة عن مصادرِ الأدوية المفردة في الطب العربي، وعلم السموم في الطب العربي، وكثيرٍ غيرها من الموضوعات المُشوِّقة، التي تعيد إلى الجمهور معرفةَ ما أُهمل من تراث ثري، فيه الكثير من الكنوز التي يمكن الإفادة منها.

**أيها السيدات والسادة**

لكل منا أن يكوّن في نفسه صورةً للغة العربية، فهي تارةً متعةٌ لتفريج الهموم وانشراح الصدور لما في شعرها من الأنغام والإيقاعات، أو مدرسةٌ لفنون التراكيب اللغوية المعبّرة، والألفاظ المنسَّقة المبثوثة في مقاماتها، أو مرقاةٌ إلى شطحات صوفية توصل الروح إلى مناجاة خالقها.

وأما من فاتته تلك الانفراجات العلوية، فيكتفي باعتماد اللغة حاملًا أمينًا للفكر، وناقلًا دقيقًا لموادَّ علميةٍ تُبنى عليها الحضارات، وهي نتاجٌ متميز لفكر إنساني فعّال يسعى إلى تفهُّم العالم الذي نعيش فيه، وإلى التأثير في معطياته، بما يخدم الارتقاء بالحياة الإنسانية.

إننا اليوم أكثر منا في أي يوم مضى، وفي مواجهة تحديات العصر، قد أصبحنا في حاجة إلى من يغترف من حاضر الغرب ما نستطيع ربطَه بفتوحات الشرق، وهي فتوحات الثقافة العربية الإسلامية التي يجب علينا سبرُ أغوارها.

إنه الانفتاح الذي لا يقبل أن يبقى ماضينا الثقافي مدفونًا في رمالٍ تحجبه عن ذاكرة الأمة، بل يؤكد أن تراثنا مُرتَكز فكري حياتي يتميز بحمولة قِيَمِيَّة امتلأت بها ألفاظ لغتنا، وهذا ما يجعلها قادرةً على استيعاب الحداثة، بما يوصلنا إلى المشاركة في استكمالها.

ولقد كان للدكتور زهير البابا فضلُ الانضمام إلى أولئك المُعتزّين بتراثنا، المُبْرزين لما فيه من منطلقات تساعدنا على استيعاب ذلك السيلِ المعرفي الآتي من الغرب، وقد كان لمساهماته وقع كبير لدى زملائه وطلابه المتأثرين بشخصيته الهادئة وإخلاصه للعلم.

رحم الله فقيدنا وأسبغ عليه رضوانه، وجعله مثالًا لشبابنا في إخلاصه للغة العربية وتمسكه بتراثها.